الانطلاقة الجديدة خيار حتمي

يبدأ النصف الثاني من نيسان بذكرى استشهاد أمير الشهداء أبو جهاد خليل الوزير، فنيسان هو شهر الشهادة، حيث نجد المعاني والعبر والدروس، ومن هذه المعاني الملحة في هذه المرحلة ما جسده خليل الوزير من ديدبان المبادرة المتجددة والدؤوبة والتي لا تعرف النكوص عن الأهداف.

ترتبط بعض معاني حياة الشهيد أبو جهاد بالانطلاقة الاولى والانطلاقة الثانية على اثر حرب حزيران 1967، وبالانتفاضة الأولى، وقد سمي " أول الرصاص وأول الحجارة " ولم يستسلم لليأس أو للاخفاق.

التسليم بحتمية الاخفاق أو الهزيمة، هو أقصر الطرق وأسوأها للوصول إلى أي منهما، لأنه يكف المحاولة ويمنع الاكتشاف أو البحث عن خيارات وعوامل يمكن أن تكون كامنة أو متوارية، ويمكنها أن تغير المسار أو تؤثر فيه نوعياً.

ىلوتيزنم وأ ةدايقلا قحنم سيلي ريركسعلا لمعلا ةبسنلاب لاحلا وه امك يسايسلا لمعلا يف يف رارمتسلاا امئاد مزيزنأ بجي ،كلذ يعدتست ةظحلة يأ يف رارقلا هذه نوكي لا نأ رارقلا نوؤشس يزنأو ةردابملا حور نم قلاطنلااتمر الأمل وشحذ العزائم والإيمان بالمستقبل وحتمية النصر .

من هنا نبدأ باستلهام المعنى الذي يتعلق بحتمية الانطلاقة الجديدة ، لأنه احتياج للمرحلة يتلخص في سؤالين تحملهما تعقيدات اللحظة الراهنة وهما : سؤال ما العمل ؟ وسؤال استحقاق التطور من أجل اختيار الصيغة المناسبة .

ما من شك أن المرحلة تشهد انكفاءاً للخطين القومي والاممي واستهدافاً للخط الديني التحرري ولكافة القوى التي لم تلتحق بالعولمة ومفاهيمها، بينما يتم بالمقابل تمهيد الطريق امام القوميات الانفصالية أو النزعات الدينية التقسيمية، هناك مكافحة من قبل قوى العولمة الراهنة ومفاهيم أحادية القطبية للقومية التي تؤدي إلى التوحيد أو للدين

عندما ينطوي على الخيار النهضوي الحقيقي والخيار الوحدوي التحرري الحقيقي .
ثمة ثقافة لقيم تحاول أن تفرض نفسها، وأن تحد من ثقافات القيم الأخرى، وتجفف التنوع الثقافي للحضارة البشرية برمتها .
كذلك ثمة تغييرات في الواقع تمنع مسارات كانت قائمة وشكلت تصوراً لحلول ممكنة .
في غمار ذلك وفي غبار الرياح المتضاربة وضباب مناخاتها والبحث عن برنامج عمل تنشأ الضرورة لمعالم اساسية للفكرة الاستقطابية لبرنامج تحرري يتجدد ورؤية يتم تجسيدها في إطار تنظيمي من أجل انطلاقة جديدة لأن الواقع يستدعي هذه الانطلاقة .
لا بد أن نبعث روح إنطلاقتنا الأولى في صياغة تتناسب مع معطيات تطل في الآفاق .
إن الاحتلال يغلق أمامنا كل الطرق التي تؤدي إلى الحد الكافي من ثوابتنا الوطنية ومتطلبات الحرية والكرامة والاستقلال وتغيير المسار العنفي الراهن تاريخياً، ويقيم أمراً واقعاً يقطع الطريق أمام الحلول حتى في إطار العدل الممكن .
علينا أن نعترف باخفاق خطين : خط فوضى الانتفاضة وفوضى المقاومة، وخط الاستجابة الكاملة للإرادة الدولية، وهو الأمر الذي يحتم علينا أن نجدد التجربة في سياق مراجعة للماضي من الإخفاق والنجاح ونقاط القوة والضعف والسلبيات والايجابيات .
لقد اثبتت التجربة أنه لا مستقبل للخط أحادي الخيار بين العمل السياسي والمقاومة المشروعة، وأثبتت أنهما تلازم يجب أن يتكامل وأن يتم فيه تتالي المحطات واللحظات والمراحل في تناوب متكامل يجسد الحكمة والصلابة في آن واحد.
وهنا لا بد من التوقف بامعان أمام أربعة معالم أساسية للفكرة أو الرؤية بتركيز يستحق استفاضات تفصيلية خاصة بكل عامل من عوامل هذه المعالم الأساسية وهي :

أولاً : الثبات في تجسيد البعد الوطني الفلسطيني في إطار برنامج وطني على أساس الثوابت الوطنية ضمن توازن الحد الاقصى الممكن وهو ما يستوجب الجمع بين معادلتين : معادلة الحد الأقصى، ومعادلة الممكن لكي يتم انتهاج طريق على أساس التوازن بين الشروط الوطنية والممكن الموضوعي سواء كان إقليمياً أم دولياً أم خاصاً

وهنا لا بد من عدة نقاط :

النقطة الأولى : ما زالت الوطنية الفلسطينية هي الأداة الأساسية لمواجهة مشروع إحتلال فلسطين وخاصة بعدم وجود ميزان قوة قومي حاسم يستطيع أن يتولى المهمة بشكل مباشر وفوري .

النقطة الثانية : حتمية استمرار الثبات والتمسك بالثوابت الوطنية التي جسدت الحد الأدنى الكافي للعدل الممكن في إطار الحرية والكرامة والاستقلال .

النقطة الثالثة : الاحتفاظ بالمساندة الدولية وفي أضعف الإيمان التفهم الدولي للأهداف الوطنية الفلسطينية في إطارها الملّح .

النقطة الرابعة : الاحتفاظ بمقومات وآفاق الرؤية الاستراتيجية بحيث تتم الاستجابة لمتطلبات المرحلة دون الاضطرار إلى محاولة غير مجدية لإغلاق أبواب التاريخ، لأن التاريخ لا يعرف الحلول النهائية وكل حل هو وليد ميزان القوى الذي يحيط به .

ثانيا : الخيار الحضاري العربي الاسلامي: حيث يجب الجمع بين الوطني والبعدين العربي والإسلامي في آن واحد، وهنا تبرز بعض النقاط :

النقطة الأولى : استحقاق التكامل بين الوطني والقومي، لأن الوطني في الحالة الفلسطينية يجمع ما بين التعبير الطبيعي والضرورة النضالية، ولأن القومي هو القدر التاريخي والخيار الاستراتيجي .

ما من شك أن هناك ضرورات للكف عن محاذير حالة الضعف أو الإنكفاء القومي ومردودها السلبي، ولكن هناك ضرورات مقابلة في الاعتماد على العوامل الايجابية وتحريك حوافزها .

إن توفر ميزان القوى القومي الذي يستطيع أن يحسم في انجازالمهام الوطنية الفلسطينية هو الطريق المثالي لتجاوز ضرورات الطليعة الفلسطينية، وإن عدم توفر ميزان الحسم للأمة يلقي على عاتق الوطني الفلسطيني أن يستمر في محاولة إحراز ضربات النقاط.

النقطة الثانية: الحضارة العربية الإسلامية ليست خياراً طائفياً أو انعزالياً أو اسلامياً صرفاً، بل هي خيار مسلمي ومسيحيي هذه الحضارة، وهو ما يجب أن ينعكس في ضرورات المشاركة والتكامل في الصيغة الوطنية الفلسطينية، وهي الصيغة الأمثل لإنعكاس وتجسيد هذا المبدأ .

النقطة الثالثة: إن الخيار الحضاري العربي الإسلامي هو خيار غير تعصبي وهو خيار إنساني بالضرورة، ويستوجب ضرورات الانفتاح في كل دوائر التفاعل الايجابي الخلاق، ويتسع للمساواة في الحقوق والواجبات والتعبيرعن الخصوصيات ومتطلباتها .

ثالثاً : التحديث وهو ما يتطلب الإنطلاق والتفاعل مع رؤى العصر والحداثة وبلوغ مستوى التطور للعقل البشري المعاصر، ومستوى تطور المعرفة والعلم والوسائل المرتبطة بهذا المستوى أو التي يغنيها هذا المستوى من التطور، وهنا تجدر الإشارة إلى بعض النقاط :

النقطة الأولى: لا بد من استلهام مفاهيم العصر ومصطلحاته وأساليبه ووسائله ومستوى الوعي البشري المتقدم.

النقطة الثانية :لا بد من تحديث الأنظمة والبرامج العامة والافكار بحيث يتم الجمع بين روح القيم الخاصة والخيارات الفكرية والعقائدية وصياغة العصر في حاضره ومستقبله الذي يمكن تحديد معالمه .

النقطة الثالثة: الجمع بين خيار الأصالة والحداثة، جوهر القيم ومستجدات وسائل التعبير عنها وآليات تنفيذها وتجسيدها ، وآليات الحياة المعاصرة في إطار التواصل الانساني الذي تطرد كثافته في إطار تطور وسائل الاتصال والمواصلات وتكامل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية في نطاقها العالمي .

النقطة الرابعة: تجسيد خط التوازن الدقيق في نطاق استحقاق تطور الأفكار والمفاهيم والبرامج بين ما يستحق الثبات وما يستحق التغيير .

رابعاً : المقاومة المشروعة حق مشروع لأن طبيعة ونوعية الاحتلال والعدوان تجعلها

ركناً اساسياً من أركان الطريق المجدي للوصول إلى الأهداف العادلة، وهنا لا بد من التوقف عند ثلاث نقاط أو مرتكزات هي:

النقطة الأولى: ينبغي أن تكون المقاومة المشروعة في حدودها المجدية وضمن وسائلها المجدية .

النقطة الثانية: أن تتم على أساس المزاوجة مع الطريق السياسي وانتظام التناوب أو التتالي أو التوازي مابين المقاومة والطريق السياسي، حيث يجب الارتباط بتحقيق الهدف وليس بالوسائل .

النقطة الثالثة: أن تتم المقاومة المشروعة ضمن قواعد قيمنا الإنسانية النبيلة وخاصة عدم استهداف الابرياء العزل.

هذه معالم أساسية لبداية جديدة أو لتجديد الانطلاقة الذي اصبح خياراً حتمياً.

يعمل الإحتلال بكل قواه، لكي يوصلنا في كل مرة إلى أبواب مغلقة، ولكن روح الحرية والكرامة والاستقلال لا تقبل الإستسلام لواقع موصد الآفاق، من هذه النقطة يبدأ البحث عن الطريق في سياق سؤال ما العمل ؟ وإلى أية أهداف يمكن أن نتوجه في ظروف إغلاق الطريق على كل حل ينطوي على الحرية والكرامة والاستقلال في إطارها الحقيقي، وكذلك في سياق سؤال استحقاق التطور اللازم في مواجهة اخفاقات لنزعات أحادية الرؤية من خطوط العمل، في إطار هذه العوامل الأربعة يجري تحديد الهدف أو الأهداف في إطار برمجتها على أساس من التوازن بين الحق والممكن بحيث تتجسد الثوابت الوطنية.

ما هو الجديد؟ الجديد هو الجمع بين العوامل بتفاصيلها في كل متكامل وتوازن سليم الإيمان والعزيمة والإرادة دائما تعرف طريقها وتستطيع أن تجد هذا الطريق بشرط واحد أن لا تكون معصوبة العينين. كذلك فان البصيرة السليمة دائما تعرف طريقها بشرط واحد أن لا تكون واهنة الإرادة.

لا بد من التطلع إلى الامام لمواصلة المسيرة وللنهوض والتجديد والإصلاح .

نيسان 2005